

جامعة إفريقيا العالمية

المركــز الإسلامــي الإفريقــي

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية
(بمناسبة مرور (١٤) قرناً على نزوله)

٢٠ ـ ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ ، الموافق ١٥ ـ ١٧ ديسمبر ٢٠١١م

الخرطوم ـ السودان

لجنة الأوراق والسكرتارية

الأوراق العلمية

(الكتاب الثالث)

الإخراج الفني والتصميم

الأستاذ: طارق فاروق عبدالله هارون

الأستاذ: عبدالرحمن محمد الوسيلة

تصميم الغلاف

الشيخ الأمير

محرم ١٤٣٣هـ / نوفمبر ٢٠١١م

لجنة الأوراق والسكرتارية

الاسم	الصفة
١) الدكتور/ عمر أحمد سعيد	رئيساً .
٢) الدكتور/ عبدالقيوم عبدالحليم الحسن	رئيساً مناوباً.
٣) الدكتور/ كمال محمد جاه الله	عضواً .
٤) الدكتور/ محمد عبدالقادر محمد	عضواً
٥) الدكتور/ يوسف خميس أبورفاس	عضواً .
٦) الدكتور/ المعتصم محمد الأمين	عضواً .
٧) الأستاذ/ طارق فاروق عبدالله هارون	عضواً مقرراً .
٨) السماني علي أحمد	عضواً .



المحتويات

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار



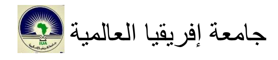


(أ)

مقدمة الكتاب:

نضع بين يديك- عزيزي القاريء- هذه المجموعة من الأوراق العلمية التي كتبت بأقلام متنوعة، قد تكون مختلفة في تناولها للقضايا التي تطرحها، لكن يجمعها أنها تصب في بحيرة واحدة تمثل محاور المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في الحضارة الإنسانية الذي تداعت له أقلام الباحثين بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم.

الحق أن هذه الأوراق المشار إليها ما كان لها أن تكون بهذه الصورة التي عليها الآن لولا اجتيازها لعدد من المحطات، التي تأتي في مقدمتها، تحكيم مستخلصها وإعادة تحريرها عبر لجنة مختصة، ومن ثم تحكيم الورقة نفسها عبر لجنة مختصة أيضا، ومن ثم تصحيحها لغوياً بواسطة لغوي متميز في مضمار التدقيق اللغوي.



ارتكازاً على ذلك ندرك مدى الجهد الذي بذل في إعداد محتويات هذا المجلد من الأوراق العلمية التي نأمل أن تقع موقعاً حسناً عند القرّاء فذاك ما نصبو إليه، والله ولي التوفيق.



تقديم الكتاب

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤدي هذا المؤتمر العلمي مهمته، كاملة في التعريف بدور القرآن في تشكيل الحياة الإنسانية على استحالة ذلك بالطبع. لأن لهذا الكتاب الإلهي إسهاماته التي تبدو وكأنها لا متناهية في تشكيل التاريخ الإنساني، وتشكيل الفضاء العام وتشكيل العقل والوجدان وكل ما يتعلق بالإنسان ودوره في هذه الحياة.

كل ذلك لان القرآن خطاب الله الكامل للإنسان ،الكتاب الجامع المفتوح للدراسة والتأمل في كل زمان ومكان ،هو مصدر المعارف الدائم يَعْظُم من يأخذ منه ،ويَشْرُف من يلجأ إليه، مورد الخير ومنبع البركة والنعمة وهو الحبل المتين والقوة التي لا تلين. لكل ذلك لم ينقطع الاهتمام به والاحتفاء بعظمته منذ أن نزل وسيظل كذلك إلى ما شاء الله. كما أن الإسلام، حتى وفي ظروف الكبت والإقصاء والتهميش، ظل بفضل هذا الكتاب يُمثل المرجعية للأفراد والمجتمعات سراً وباطناً في ظل أوضاع الاضطهاد والحرب ومحاكم التفتيش التي ما تزال دائرة في بعض بقاع الأرض.

والحق أن اهتمام جامعة إفريقيا وأهل السودان به لم يأت من فراغ، وإنما يعود ذلك إلى الأهداف والوجهة الأولى للمركز الإسلامي الإفريقي، نواة هذه الجامعة، التي احتضنها أهل السودان شعباً وحكومةً، وآزرهم عليها قوم كرام وحكومات وهيئات كريمة ،وهي ذات الجهات التي تدعم اليوم مؤتمر القرآن الكريم.

ولا يزال القرآن الكريم من أكبر اهتمامات جامعة إفريقيا المتمثلة في مطلوبات الجامعة المهولة من القرآن ودراساته، وحلقاته العامرة في مساجدها وقاعاتها.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار



"المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية" جاء عنواناً لهذا التجمع القرآني الكبير. عنواناً تنطوي تحته محاور تركز في مجملها على إسهام القرآن في حضارة الإنسان في كل مجالات الإسهام. نتج عنه هذه الأوراق التي تصب بحوثها في خدمه القرآن وإبراز دوره الحضاري.

(ج)

هذا المؤتمر مجرد محاوله متواضعة لقراءة دور القرآن في بناء المجتمعات الإسلامية وكذلك معرفة إسهام العلوم التي بثها العقل الإسلامي في إعادة تشكيل العقل الإنساني الذي قاد لحضارة العلمية الحديثة، كما أن القرآن يظل وراء كل حدث كبير، وما التحولات الجارية في العالم الإسلامي اليوم إلا صدىً لهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، لان القرآن وراء ازدهار المساجد ووراء إعمار الشباب لدور العبادة، ووراء العودة لله، والقرآن هو التجويد والعلم والعقل والتدبر، وطهارة اليد واللسان والعفة، وطهارة العقل والبنان وطهارة الجنان— وفي إطار هذه المعاني يجئ هذا المؤتمر.

ولكي يظهر المؤتمر في الصورة اللائقة بعظمة القرآن حرصت الجامعة على البرامج المصاحبة ومن بينها معرض القرآن الكريم الذي يبرز جهود أهل القرآن بالسودان وغيره من البلدان، الجهود الرسمية والشعبية القديمة منها والحديثة.

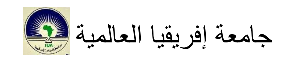
كما تشمل التظاهرة حدثاً قرآنياً كبيراً تتجمع فيه خلاوي السودان بفسيفسائها وأطيافها المختلفة حول " تُقّابة القرآن " نار القرآن العظمى التي تجسد تقاليد أهل السودان في تعليم القرآن ودراسته.

بالإضافة لذلك فأن هذه التظاهرة ستشهد مشاركة وفعاليات واسعة من الشخصيات والمؤسسات المعنية بالقرآن محلياً وإقليميا وعالمياً بما يبلور عظمه القرآن وجلاله.

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار





وأنا، إذ أقدم هذا الكتاب للمؤتمرين والقراء وأصحاب الشأن والاهتمام ، لا أشك في أن قيام هذا المؤتمر بهذه الصورة سيجلب الخير والبركة لجامعة إفريقيا ومجتمعها، وللسودان وأهله ودولته، عليه اسأل الله أن يكون في كل ذلك عملاً صالحاً وجهداً مباركاً، وان يكون لهذا الكتاب الذي يحتوي على طائفة من الأوراق المقدمة في المؤتمر فائدة عامة ودور ايجابي في التعريف بالمؤتمر بما يشحذ الهمم ويثير القرائح للإسهام في نجاحه وازدهاره .

واسأله تعالى أيضاً أن يكون هذا المؤتمر مجرد فاتحة لمئات المؤتمرات التي تتناول هذا الشأن.

والله ولي التوفيق،،

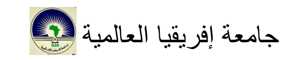
بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد

مدير جامعة إفريقيا العالمية



International University of Africa IUA جامعة إفريقيا العالمية

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية



THE HOLLY QURAN: INTERNATIONAL CONFERECE

القيم التربوية في القرآن الكريم

(تربية القلوب نموذجاً)

المحور التاسع: التربية والقرآن الكريم

(القيم التربوية في القرآن الكريم)

إعداد:

الدكتور إدريس علي الطيب علي

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار



أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن
رئيس قسم الدراسات الإسلامية - كلية الشريعة - جامعة إفريقيا العالمية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم تنزيله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢٤]، والقائل: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ﴾ [التغابن: ١١].

ثم الصلاة والسلام على رسول الله الأمين، الذي اصطفاه ربه وزكاه وطهر قلبه ولسانه وجسده وروحه، وبعثه رحمة للمؤمنين، وهدى لقلوب العالمين، القائل في هديه الشريف: " أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"[i]، وعلى آله وأصحابه الذين طهروا قلوبهم من أدران الشرك، وعمروها بنور اليقين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد ذكر الله تعالى القلوب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة[ii]، وبين خلال تلك الآيات الكريمة صفات القلوب ، وحدد أمراضها، وأشار إلى طرق علاجها. وذكر اللَّه حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها وقساوتها في غير موضع.

وتكمن أهمية دراسة هذا المصطلح القرآني بموارده وصياغاته في القرآن الكريم؛ لبيان صفات القلوب وأمراضها وطرق علاجها، أن القلب محل الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [المائدة: ٤١]، وقوله تعالى:



﴿ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ﴾ [المجادلة: ٢٢]. حيث دلت هاتان الآيتـان علـى أن أصـل الإيمان في القلب، وأن الإيمان لا يثبت لأحد حتى يدخل قلبه ويوقن به.

كما أن القلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، فهو من ثَمَّ– كما قال ابن رجب الحنبلي–رحمه اللَّه–: "مَلِكُ الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنـودٌ طـائعون لـه، منبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملـك صالحاً كانت هذه الجنود صالحةً، وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المثابة فاسـدةً، ولا ينفع عند اللَّه إلا القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨–٨٩]"[iii].

وقد انتشر في هذا الوقت من أمراض القلوب الكثير بـين النـاس مثـل الحسد، والبخل، والشح، والغل، والظلم، والكبر، والغفلة، وسوء الظن، والزيغ، والقسوة، والرياء، والنفاق، ومرض الشبهات والـشكوك، ومـرض الـشهوات وغيرها، وأن كثيراً من الناس لم ينتبهوا إلى أن حياة القلب وإضاءته مادة كـل خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شر فيه، وأن القلب لا يفلـح ولا يـصلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه[iv].

ولا شك أن من أعظم القيم الإيمانية، والتربية الأخلاقية، تلك القيم التي تتعلق بالقلب؛ لأنه أخطر عضو في الجسم، وهو ملك الأعضاء، وهو محـل الإيمان، وهو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فـسدت فـسد الجسد كله، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.



كما أن معظم الصفات الحميدة التي تقوم عليها قيم الإيمان وأسس التربية الأخلاقية الحميدة – من: التقوى والتواضع والإنابة والخشوع وحسن الخلق ومحبة الخير وغيرها– من أعمال القلوب.

وكذلك فإن معظم الصفات الذميمة التي تنفي وجود القيم الأخلاقية – من: الحسد، والبخل، والشح، والغل، والظلم، والكبر، والغفلة، وسوء الظن، والزيغ، والقسوة، والرياء، والنفاق، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات وغيرها– محلها القلب أيضا.

وهذا البحث محاولة لكشف منهج القرآن الكريم في تربية القلوب وعلاج أمراضها، وإظهار ما في القرآن الكريم من قيم إيمانية وتربوية وأخلاقية من خلال هذا العضو الذي يتحكم في سلوك الإنسان كله.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾. **[يونس: ٥٧-٥٨]**.

محتوى البحث إجمالاً:

يحتوي هذا البحث بعد المقدمة على: تمهيد ومبحثين وخاتمة:

أما التمهيد: فقد أشتمل على تعريف القلب، والعلاقة بينه وبين الفؤاد، والنفس، والعقل، والصدر.

وأما المبحث الأول: فيتناول بيان أنواع القلوب وتقسيماتها، والتمييز بين هذه الأنواع. وذكر صفات كل نوع من أنواع القلوب.



وأما المبحث الثاني: فقد اشتمل على بيان أسس التربية الأخلاقية السليمة، وعلاج الأمراض.

وأما الخاتمة: فقد أجملت فيها نتائج الدراسة.

وهذا جهد المقل، فما كان في هذا البحث من صواب فمن توفيق الله تعالى وتسديده وإعانته سبحانه، وما كان فيه من زلل فمن نفسي، وحسبي أني لم آل جهدا، ولم أدخر وسعا في جمع مادته والتعليق عليها، فالله أسأل أن يتقبله منا وأن يجعله ذخرا لنا، إنه نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله وسلم على النبي الكريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد: في تعريف القلب، والعلاقة بينه وبين الفؤاد:

القَلْبُ في اللغة: الفُؤادُ، أو أخَصُّ منه، والعَقْلُ، ومَحْضُ كلِّ شيءٍ،وخالص كل شيء وأشرفه: قلبه، وَالْفُؤَادُ: الْقَلْبُ وَهُوَ مُذَكَّرٌ وَالْجَمْعُ أَفْئِدَةٌ(v).

والقَلْبُ أَخَصُّ من الفؤَاد في الاستعمال، ولذلك قالوا: أَصَبْتُ حَبَّةَ قلبِه وسُوَيْداءَ قلبه، وقد وُصِفَت القلوبُ بالرِّقة والأَفْئدَةُ باللِّين، وقيل: القُلُوبُ والأَفْئدَةُ قريبانِ من السواءِ (vi).

قال الفراءُ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[سورة: ق: ٣٧] أَي، عَقْلٌ. قال: وجائزٌ في العربية أَن تقولَ: ما لَكَ قَلْبٌ، وما قَلْبُك معك، تقول: ما عَقْلُكَ معكَ، وأَين ذَهَبَ قَلْبُك؟ أَي: أَين ذهب عَقْلُكَ؟ وقال غيره: **(لمن كان له قَلْبٌ)** أَي: تَفَهُّمٌ وتَدَبُّرٌ(vii).

قال الراغب: ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك، وقوله تعالى: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾[الأحزاب: ١٠]، أي: الأرواح. وقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[سورة: ق: ٣٧] أي: علم وفهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾[الأنعام: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[التوبة: ٨٧]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾[الأنفال: ١٠] أي: تثبت به شجاعتكم ويزول خوفكم، وعلى عكسه قوله تعالى: (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرّعْبَ)[الحشر: ٢]. وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ



يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج: ٤٦] قيل: العقل، وقيل: الروح [viii].

وقال ابن الجوزي: "القلب محل النفس والعقل والعلم والفهم والعزم. وقيل: سمي قلبا لتقلبه في الأشياء بالخواطر والعزوم والاعتقادات والإرادات"[ix].

وقال بعضهم: سُمِّي القَلْبُ قَلْباً لتَقَلُّبه[x]. قال الراغب: وتقليب الشيء: تغييره من حال إلى حال نحو، قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٦]. وتقليب الله القلوب والبصائر: صرفها من رأي إلى رأي، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [الحشر: ١٤] أي: متفرقة [xi].

وعن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)[xii].

وأما القلب في الاصطلاح:

قال الجرجاني: "القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل، المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، ويسميها الحكيم: النفس الناطقة، والروح باطنه، والنفس الحيوانية مركبه، وهي المدرك، والعالم من الإنسان، والمخاطب، والمطالب، والمعاتب"[xiii].

وهناك علاقة كبيرة بين القلب والنفس بأقسامها (النفس المطمئنة، والنفس الأمارة، والنفس اللوامة)؛ وذلك أن سائر أمراض القلب تنشأ من جانب النفس، فإنها إذا استولت على القلب قطعت الطريق بينه وبين الرشاد والهدى، قال تعالى: ﴿ۇ ۆ ۈ ۉ ۉ ې ې ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □﴾[النازعات:٣٧-٤١]، فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والله تعالى يدعو عبده إلى نهي النفس عن هواها، وكفها عن غيها، والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة وإلى هذا مرة.

قال ابن القيم: "اتفق السالكون إلى الله على اختلاف طرقهم، وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه، ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها وتركها ومخالفتها والظفر بها"(xiv).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ﴾ [سورة: الحشر:١٨].

عَنْ شَدَّاد بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ"(xv).

وقد تطلق النفس ويراد بها القلب أو تذكر في مقابله كما في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ



بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[المائدة: ٥٢].
فالإسرار في القلب وإنما أطلقت النفس في مقابل القلب.

والصَّدْر أَعلى مقدَّم كل شيء وأَوَّله، والصدر محل القلب. قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦]. ويطلق الصدر ويراد به القلب، من قبيل إطلاق المحل وإرادة الحال، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة: النمل: ٧٤].

والخلاصة أن هناك علاقة وطيدة بين هذه المصطلحات، وبينها ترابط قوي. فالقلب هو المدرك والعالم والعارف من الإنسان، وهو والفؤاد سواء، أو قريبان من السواء، وكثيرا ما يطلق الفؤاد ويراد به القلب، والعكس صحيح. وهما في الصدر، ويطلق الصدر ويراد به القلب. والعقل هو أداة التمييز والفهم والتدبر، وهو نور القلب، وكذلك يطلق القلب ويراد به العقل. وأما النفس فهي روح الإنسان، وهي إما أن تكون طريق القلب إلى الهداية أو إلى الغواية.



المبحث الأول: تصنيف القلوب والتمييز بينها، والنص على صفات كل نوع:

من أهم معالم منهج القرآن الكريم في تربية القلوب تربية أخلاقية تقوم على أسس متينة، تصنيف القلوب إلى أصناف ومن ثم التمييز بين هذه الأصناف، وقد ورد هذا المنهج بأساليب بليغة غاية في الدقة والبيان والوضوح، والذي زاد هذه المنهج قوة في الدلالة، ودقة في التعبير، النص على صفات كل نوع من أنواع القلوب بما يترك في النفس أثرا عميقا.

قال شيخ الإسلام –رحمه اللَّه: "جعل اللَّه القلوب ثلاثة أقسام: قاسية، وذات مرض، ومؤمنة مخبتة؛ وذلك لأنها إما أن تكون يابسة جامدة لا تلين للحق اعترافاً، وإذعاناً، أو لا تكون يابسة جامدة.

الأول: هو القاسي، وهو الجامد اليابس، بمنزلة الحجر لا ينطبع، ولا يكتب فيه الإيمان، ولا يرتسم فيه العلم؛ لأن ذلك يستدعي محلا لينا قابلاً.

والثاني: لا يخلو إما أن يكون الحق ثابتاً فيه لا يزول عنه، لقوته مع لينه، أو يكون لينه مع ضعف وانحلال. فالثاني: هو الذي فيه مرض، والأول هو القوي اللين [xvi].

وقال ابن القيم – رحمه الله: "فالقلب الأول: حي مخبت لين واع، والثاني: يابس ميت، والثالث: مريض، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى"[xvii].

وقال: "قد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا



يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾". [الحج: ٥٢-٥٤]

وقال: فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبا ناجيا. فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض، والقلب القاسي. والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه، وهو المطمئن إليه، الخاضع له، المستسلم المنقاد.

وقال: فالقلب الصحيح السليم ليس بينه وبين قبول الحق، ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق، تام الانقياد له. والقلب الميت القاسي، لا يقبله ولا ينقاد له. والقلب المريض، إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسي، وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم(xviii).

وقال – رحمه اللَّه– في موضع آخر: "القلوب ثلاثة: قلب قاسٍ غليظ بمنزلة اليد اليابسة، وقلب مائع رقيق جداً. فالأول: لا ينفعل فهو بمنزلة الحجر، والثاني: بمنزلة الماء، وكلاهما ناقص، وأصحُّ القلوب القلب الرقيق الصافي الصلب، فهو يرى الحق من الباطل بصفائه، ويقبله ويُؤْثِره برقّته ويحفظه، ويحارب عدوه بصلابته ... وأبغض القلوب إلى اللَّه القلب القاسي، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢] (xix).

المطلب الأول: القلب السليم:



وقد عرّف العلماء رحمهم اللَّه القلب السليم بعدة تعريفات أذكر منها تعريف:ابن رجب –رحمه اللَّه– الذي قال: "القلب السليم: هو السالم من الآفات والمكروهات كلِّها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة اللَّه وما يحبه اللَّه، وخشية اللَّه، وخشية ما يُباعد منه"(xx).

وقال شيخ الإسلام – رحمه اللَّه–: "وهذا هو القلب السليم، وهو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة، والإرادات الفاسدة، وما يتبع ذلك"(xxi).

وقال ابن القيم – رحمه اللَّه–: "هو السليمُ من الآفات التي تعتري القلوب المريضة، من مرض الشبهة التي توجب إتباع الظن، ومرضِ الشهوة التي توجب إتباع ما تهوى الأنفس، فالقلبُ السليمُ الذي سَلِمَ من هذا وهذا"(xxii).

ويزيد هذا التعريف بيانا بقوله: والقلب السليم هو الذي سلم من: الشرك، والغل، والحقد، والحسد، والشح، والكبر، وحب الدنيا، والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن اللَّه، وسلم من كل شبهة تعارض خبر اللَّه، ومن كل شهوة تعارض أمر ربه، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن اللَّه، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا وفي جنة البرزخ، وفي جنة يوم المعاد. ولا يتم له سلامته مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد، والإخلاص يعم(xxiii).

وقال ابن عاشور– رحمه اللَّه–: و(سَلِيمٍ): صفة مشبهة مشتقة من السلامة وهي الخلاص من العلل والأدواء؛ قال: وقد جمع قوله: (بِقَلْبٍ سليمٍ) جوامع كمال

النفس وهي مصدر محامد الأعمال. وفي الحديث: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[xxiv].

إذن فالقلب السليم هو الصحيح السالم من العلة والسقم، وهو قلب مخبت لين واع مطمئن لا يخالطه شك، متصف بالصفات الحسنة، ويوصف به قلب المؤمن في أفضل حالاته، كوصف قلوب الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، وهو الذي وصفته السنة المطهرة بأنه (أجرد) أي: متجرد مما سوى الله تعالى.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يُزْهِرُ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ، وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ: فَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَجْرَدُ، فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ، سِرَاجُهُ فِيهِ نُورُهُ. وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ، فَقَلْبُ الْكَافِرِ. وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ، فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ، عَرَفَ ثُمَّ أَنْكَرَ. وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصْفَحُ، فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ، فَأَيُّ الْمَادَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الْأُخْرَى غَلَبَتْ عَلَيْهِ)[xxv].

ومنهج القرآن الكريم في بيان صفات هذا القلب أنه يذكر هذه الصفات ويوردها في سياقات مرتبطة ومتلازمة مع الأسباب والعلل التي جعلت القلب يكتسب تلك الصفات الحميدة؛ وهذه الأسباب التي ترتبط بصفات القلب السليم الصحيح المعافى من الأمراض هي في أغلب الأحوال العلاج الناجع لأمراض القلوب، فهناك ارتباط وثيق وصلة قوية بين هذه الأمور كلها؛ فالقرآن يذكر القلب الذي اتصف بالتقوى، أو الاطمئنان، أو الإخبات، أو الإنابة، أو غيرها من الصفات

الحميدة، وفي نفس الآية وفي ذات السياق يذكر السبب الذي جعل القلب متقيا، أو مطمئنا، أو مخبتا، أو منيبا. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ ﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤]، وقال تعالى: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ﴾ [ق: ٣٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ﴾ [الأنفال: ٢]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ [الرعد: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ ﴾ [الحج: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ ﴾ [الحج: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣ ﴾ [الزمر: ٢٣].

المطلب الثاني: القلب المريض:

وهو السقيم، وهو قلب له حياة وبه علة، فله مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، وهو القلب الذي وصفته السُّنة بأنه (مصفح) كما في الحديث السابق.

وأمراض القلوب في هذا القسم عامة تصيب المؤمن عندما يعتريه الضعف، أو يرتكب المعاصي، أو يقصر في أداء الفرائض، ففي هذه الحالات يصيب قلبه بعض المرض، فإن تاب ونزع عن ذنبه سَلِم قلبه من المرض الذي أصابه، وإن تمادى في ذنوبه فإنه يضل ويصل إلى مرحلة يطبع فيها على قلبه والعياذ بالله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ﭼ ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﴾ **[المطففين : ١٤]**"[xxvi].

قال الطبري – رحمه اللَّه–: "فأخبر ﷺ أنّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الخَتْم من قبل الله عز وجلّ والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مَسْلك، ولا للكفر منها مَخْلَص، فذلك هو الطَّبع، والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله:(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ) "[xxvii].

وهذه الأمراض أشد عند المنافقين، وتبلغ الذروة عند الكافرين، قال تعالى عن المنافقين: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ



﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾. [محمد:٢٩-٣٠]

وقال تعالى عن مشركي أهل الكتاب: ﴿ۋ ۋ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۅ ۅ ې ې □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﴾، ﭘ ﭙ [الصف: ٥].

فمرض قلوبهم تمثل في زيغهم وعدولهم عن إتباع الحق الذي جاءهم به نبيهم ﷺ.

قال ابن كثير – رحمه الله–: "وقوله: **(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)** أي: فلما عدلوا عن إتباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾. [الأنعام:١١٠]"(xxviii)

وأخطر أمراض القلوب النفاق والكفر، فالمنافقون والكفار اتصفوا بشر الصفات من: الشك، والارتياب، والمكر، والخديعة، وخلف الوعد، والاستكبار، والاستهزاء، وغير ذلك، وقد بينت الآيات القرآنية هذه الأمراض ونسبتها لهاتين الفئتين، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة:٧٥-٧٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[التوبة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[النور: ٥٠]، قال تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾. [النحل: ٢٢]



قال شيخ الإسلام – رحمه اللَّه–: "وكذلك مرض القلب هو نوع فسادٍ يحصل له، يفسد به تصوره، وإرادته، فتصوره: بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته: بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار.

إلى أن قال رحمه اللَّه: والمرض دون الموت، فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل، فله موت ومرض، وحياة وشفاء، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه، فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه[xxix].

وقد بينت الآيات القرآنية هذه الأمراض ونسبتها لهاتين الفئتين فقط، ولم يرد وصف المؤمنين في سياق الحديث عن صفات القلوب بواحد من هذه الأمراض البتة، مما يدل على أن المؤمن لا ينبغي له أن يتصف بهذه الصفات، ولا يليق به أن يتلبس بهذه الأمراض، فإن نسي وقع في ذنب، أو مسه طائف من الشيطان تذكر ونزع ورجع عن معصيته وتاب إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

هذا هو الفرق بين المؤمن الحق، وبين المنافق والكافر؛ وذلك أنه لا يُصرُّ على التمادي في الذنب. أن يقع في الذنب، وهذه مرحلة لا بد منها، عَنْ



أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ" (xxx)، أما التمادي في الذنب والإصرار عليه فهي المرحلة الخطيرة التي تؤدي إلى الهلاك والبوار؛ لأنها تقود إلى مرحلة الختم والطبع على القلب، ومن ثَمَّ يكون القلب قاسيا ميتا والعياذ بالله.

المطلب الثالث: القلب المطبوع عليه:

وهو المختوم عليه، الأغلف الذي عليه غلاف، وعليه الأكنة والران، وهذه أوصاف في القرآن الكريم خاصة بقلوب المنافقين والكفار أيضاً، وقد وصفت السنة قلب المنافق بأنه (منكوس)، وقلب الكافر بأنه (أغلف).

قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ **وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ** فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [التوبة:٨٦-٨٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ **وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ** فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [التوبة: ٩٣]. وقال تعالى عنهم: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ **طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ** وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ ﴾ [محمد: ١٦].

وقال تعالى عن الكفار: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ** وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة:٦-٧]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ **قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ** بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلًا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [البقرة: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ



ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النحل:١٠٧-١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ [النساء: ١٥٥] . ﴾

قال الطبري– رحمه اللَّه–: "(**بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ**)، أي كذبوا في قولهم: (قُلُوبُنَا غُلْفٌ)، وما هي بغلف، ولا عليها أغطية، ولكن الله جل ثناؤه جعل عليها طابعًا بكفرهم بالله"(xxxi).

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [فصلت: ٥].

هكذا يظهر لنا من خلال سياق الآيات القرآنية أن الحديث عن هذه الأوصاف خاص بالمنافقين والكفار، غير أن الدرس الذي ينبغي أن يعيه المؤمن، ولا ينبغي له أن يغفل عنه هو أن على المؤمن أن يبحث عن قلبه بين هذه الأقسام، ويجد له محلا بينها، فإما أن يكون قلبه سليما، أو يكون مريضا، أو مطبوعا عليه.

المطلب الرابع: القلب القاسي:

وهو الميت الذي ليس فيه حياة، وهذا الوصف في القرآن الكريم خاص بقلوب الكفار دون غيرهم، ولم يشترك المنافقون معهم فيه. والقسوة في القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه، وقَسا قلبه قَسْوة وقساوة، وقَسا، بالفتح والمد: غلظ القلب وشدَّته، وأَقْساه الذنب(xxxii). وقد عرف شيخ الإسلام –رحمه اللَّه– القلب القاسي فقال: "هو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا ينطبع، ولا يكتب فيه الإيمان، ولا يرتسم فيه العلم؛ لأن ذلك يستدعي محلاً ليناً قابلاً"(xxxiii).

قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم** مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ ﴾ [البقرة:٧٣-٧٤].

قال أبو جعفر– رحمه اللَّه–: " ثم صلبت قلوبكم– بعد إذ رأيتم الحق فتبينتموه وعرفتموه– عن الخضوع له والإذعان لواجب حق الله عليكم، فقلوبكم كالحجارة صلابة، ويبسا، وغلظا، وشدة، أو أشد قسوة"(xxxiv).

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا **قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً** ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[المائدة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن **قَسَتْ قُلُوبُهُمْ** وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣]. قال تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ **وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ** ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الحج: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ **لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم** مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢]. قال



تعالى: ﴿ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ **ڭ ڭ ۇ** ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯿ **ﯿ** □ □ □ □ □ □ ﴾ [الحديد: ١٦].

قال ابن كثير: قال ابن جريج: **(لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)** هم: المنافقون، **(وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ)**: المشركون. وقال مقاتل بن حيان: هم [الكافرون] اليهود(xxxv).

وعليه – من خلال العرض السابق– يتبين لنا منهج القرآن الكريم في تربية القلوب وعلاج أمراضها، وهو منهج يقوم أساسا على هذا التصنيف والتمييز بين القلوب، والنص على صفات كل صنف من هذه الأصناف، والتصريح بالصفات الحميدة والأخلاق الحسنة التي اتصف بها أصحاب القلب السليم، وذكر الأمراض التي تلبس بها أصحاب القلب المريض.

هذه هي أنواع القلوب في القرآن الكريم، وهي أربعة: ثلاثة منها في وصف قلوب المنافقين والكفار، وواحد منها في وصف قلوب المؤمنين، وعلينا أن نبحث عن قلوبنا نحن، كل واحد منا يبحث عن قلبه، وهو أدرى بقلبه وما ينطوي عليه من الخير أو الشر، ويحاول أن يجد له موقعا بين هذه الأقسام، ويسأل نفسه ويستفتي قلبه هل هو: مطمئن خاشع مخبت لين للحق مقبل عليه راض به؟ أم أن به مرضا ما؟ أم أنه قاس ميت منصرف عن الحق؟ هذا هو المهم في الأمر كله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].



المبحث الثاني: تربية القلوب وعلاج أمراضها:

يتسم منهج القرآن الكريم في بيان أمراض القلوب بأنه لا يذكر هذه الأمراض منفصلة عن بعضها، ولا يذكرها بمعزل عن كثير من الصفات والأسباب التي تؤدي إليها، كما أنه لا يتحدث عنها بعيدا عن كثير من وسائل الوقاية منها.

وأسلوب القرآن الكريم وطريقته في الحديث عن القلب – باعتباره أهم وأخطر عضو في الجسم– وما يلتحق به من النفس، والصدر، والأفئدة، والعقل، أسلوب شامل يتحدث عن هذه الأمور كلها مجتمعة أو متفرقة، في سياق واحد أو في سياقات متعانقة يأخذ بعضها برقاب بعض، ويعود بآخرها إلى أولها، يذكر القلب بالاسم في آيات متفرقة، ويشير إليه بحقيقته التي هي (النفس) ، أو بمحله الذي هو (الصدر) ، أو بصنوه الذي هو (الفؤاد) ، أو بالجزء المدرك منه الذي هو (العقل)، وكثيرا ما يشار إليه بعمل من أعماله الملازمة له: مثل الإيمان، أو التصديق، أو التذكر، أو الشعور، أو الجحود، أو النكران، أو النسيان، أو الغفلة، أو غير ذلك من الأمور التي لا تتصور من الإنسان إلا بحضور القلب أو غيابه.

وهكذا يكون حديث القرآن الكريم عن القلب وعن أمراضه وأسبابها، وعن صفاته وأعماله وما يتعلق به من أعضاء أخرى ذات علاقة به– حديثا جامعا وشاملا لجوانب عديدة تقود في مجملها إلى حقيقة أهمية هذا العضو، وإلى بيان



اهتمام القرآن الكريم به، وتكشف عن منهج القرآن في تربية القلوب تربية أخلاقية لتقويم سلوك الإنسان من خلال السمو بالقلب وتزكيته من الأمراض.

وبما أن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب، وأن القلب الصحيح الحيَّ إذا عُرضت عليه القبائح نفَر منها بطبعه، وأبغضها ولم يَلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرّق بين الحسن والقبيح، وجب علينا معرفة أسباب حياة القلب وصحته في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ وهي آية توضح أن من استجاب لكتاب الله تعالى ونوره الذي أنزله على نبيه ﷺ يكون حياً باصطلاح القرآن؛ لأنه أبصر النور واهتدى وخرج من الظلمات، بل أصبح له نور يمشي به بين الناس. وقال تعالى أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ **أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ** وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ **وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ** وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]. وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

وعَن ابْن عَبَّاس ﷺ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنْ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ"(xxxvi).

فالحياة لا تكون إلا بوجود الوحي، ولا وحي في الأرض إلا هذا القرآن وبيانه الذي هو السنة، ولا حياة للقلب إلا بهذا القرآن، ولا سبيل لعلاج أمراضه إلا به، ولا نور له ولا هداية له إلا بنور الله تعالى وهدايته، إذن فما هي الأسس والطرق التي تبين منهج القرآن الكريم في تربية القلوب وعلاج أمراضها؟ **إجابة عن هذا السؤال أقول وبالله التوفيق:**

العلاج الأول: الإيمان بالله تعالى:

من أسباب حياة القلب وصحته، وعلاج أمراضه: الإيمان بالله تعالى، ونعني به: جمع القلب على اللَّه تعالى، وأن يستقرّ فيه معرفة اللَّه، وعظمته، ومحبته، وخشيته والإنابة إليه، ومهابته، والتوكل عليه.

فالإيمان الصحيح الصادق هو النور الذي يبدد الظلام، والهدى الذي يزيل الضلال، والبيان الذي يمحو الجهل، والحق الذي ليس بعده باطل، والشفاء الذي ليس يخالطه مرض.

ومن عرف ربه حق المعرفة رقَّ لُبُّه، ومن جهل ربَه قسا قلبُه، وما وجدتَ قلباً قاسياً إلا وجدتَ صاحبه أجهل العباد بالله عز وجل، وأبعدهم عن المعرفة به، وكلما عظم الجهل بالله كلما كان العبد أكثر جرأة على حدوده ومحارمه، وكلما وجدتَ الشخص يديم التفكير في ملكوت الله، ويتذكر نعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى، كلما وجدتَ في قلبه رقة وإيمانا.

قال تعالى: ﴿ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ﴾ [التغابن: ١١]. أي: "ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر

واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعَوَّضه عما فاته من الدنيا هُدي في قلبه، ويقينا صادقًا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرًا منه. وعن ابن عباس: **(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ)** يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[xxxvii].

وقال تعالى- عن الفتية الذين آمنوا وفروا بإيمانهم إلى الله تعالى، وكيف أنه تعالى زادهم هدي وربط على قلوبهم بسبب إيمانهم-: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ **فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى** ﴿١٣﴾ **وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾)[الكهف:١٣-١٤].

العلاج الثاني: الاعتصام بالكتاب والسنة:

نعني بالاعتصام بالكتاب: النظر في آيات القرآن الكريم والتفكر في وعده ووعيده وأمره ونهيه، فما قرأ عبدٌ القرآنَ وكان عند قراءته حاضرَ القلبِ، متفكراً متأملاً متدبرا، إلا وجدتَ عينَه تدمع، وقلبَه يخشع، ونفسَه تتوهج إيماناً من أعماقها تريد السير إلى ربها، وما قرأ عبدٌ القرآن، أو استمع إلى آياته إلا وجدته رقيقاً قد خفق قلبُه، واقشعرَّ جلدُه من خشية الله، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والاعتصام بالكتاب يعني كذلك: الإيمان بالقرآن؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٌ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت: ٤٣]، والاعتصام بالكتاب كذلك يشمل إتباع القرآن والعمل به، قال تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة، ١٥-١٦].

بقدر إقبالنا على القرآن، يكون إقبال الله تعالى علينا، وبقدر إعراضنا عن القرآن يكون إعراض الله تعالى عنا، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ ﴾[النساء:١٧٥]. وقال سبحانه: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

وأما الاعتصام بالسنة النبوية: فإنه نابع من الاعتصام بالكتاب؛ لأن الله تعالى أمر بإتباع النبي ﷺ، وأوكل إليه مهمة بيان القرآن الكريم، وعليه لا يمكن أن نفصل بين النبوة والقرآن، ولا نستطيع أن نفصل بين القرآن والحديث، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل: ٤٤].وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]. وقال

تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

وكما تواترت أدلة القرآن على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، فقد جاءت كذلك أدلة السنة على هذا النحو أيضًا، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال: "يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا، كتاب الله وسنتي"[xxxviii]. وفي الحديث الصحيح: (عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، وإنّ ما حرّم رسول الله ﷺ كما حرّم الله")[xxxix].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يجب أن يعلم يقينًا أنه لا يسوغ لأحد كائنًا من كان ما كان يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة، وهذا مما اتفق عليه أولياء الله عزّ وجل، ومَنْ خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله بإتباعهم، بل إما أن يكون كافرًا، وإما أن يكون مفرطًا في الجهل، وهذا كثير في كلام المشايخ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني: إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة"[xl].

والاعتصام بالكتاب والسنة المخرج الوحيد الذي يجعل المؤمن محلا صالحا لآثار القرآن الكريم، فالقرآن أنزل لهداية الناس وبيان طريق العبودية الصحيح، ولشفاء الأمراض كلها، فهو هدى ونور وبيان ورحمة لما في صدور العالمين، وتربية القلوب تقوم أساسا على القرآن الكريم؛ وذلك لأن جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات، والقرآن شفاء للنوعين[xli].



العلاج الثالث: الصـبر:

من الأدوية الناجحة التي ذكرها القرآن الكريم لعلاج أمراض القلوب وتربيته تربية أخلاقية تقود إلى تقويم سلوكه: تعويد النفس على الصبر، وهو من أفعال القلوب التي تشمل الكثير من أفعال الجوارح. والصبر في معناه العام الشامل: حبس النفس على فعل كل خير، وتجنب كل شرٍّ، فالصبر على فعل الطاعات وترك المنكرات من عزائم الأمور التي تخلص المؤمن من الأمراض، وهو من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨٦]. ولا شك أن الإنسان يتعرض في مسيرة حياته إلى الكثير من المشاكلات والعقبات التي تقوده إلى سوء الخلق، والصبر يشكل المرحلة الأولية والأساسية لتقويم السلوك.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠]. والآيات في هذا الباب كثيرة نكتفي منها بما أوردناه.

قال شيخ الإسلام: "فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر، فيكره ذلك من نفسه....، وأما من اعتدى بقول أو فعل فذلك يعاقب، ومن أتقى وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه اللّه بتقواه"(xlii).

وقال ابن القيم:"وجمع سبحانه بين الصبر واليقين إذ هما سعادة العبد، وفَقدُهما يُفقِده سعادته، فإن القلب تطرقه طوارق الشهوات المخالفة لأمر اللَّه، وطوارق الشبهات المخالفة لخبره فبالصبر يَدفعُ الشهوات، وباليقين يدفع الشبهات، فإن الشهوة والشبهة مُضادّتان للدّين من كل وجه، فلا ينجو من عذاب اللَّه إلاَّ من دفع شهواته بالصبر وشبهاته باليقين"(xliii)، كماً في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال تعالى على لسان لقمان عليه السلام معلما إبنه أسس التربية الأخلاقية: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) ﴾ [العنكبوت:٥٨-٥٩]. ومثله قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) ﴾ [الحج: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ [الكهف: ٢٨].



قال ابن كثير: "إن الله تعالى يأمر نبيه أن اجلس مع الذين يذكرون الله، ويهللونه، ويحمدونه، ويسبحونه، ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيا، من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء، أقوياء أو ضعفاء"(xliv). وهذا من أسس التربية الأخلاقية.

إذن فزيارة الصالحين، وصحبتهم، ومخالطتهم، والقرب منهم، والصبر معهم، من الأمور المهمة التي تعين العبد على دينه، وتربي قلبه تربية حميدة؛ لأنهم يأخذون بيدك إن ضعفت، ويذكرونك إذا نسيت، ويرشدونك إذا جهلت، وإن افتقرت أغنوك، وإن دعوا الله لم ينسوك، ورؤيتهم تذكر بالله وتعين على الطاعة.

العلاج الرابع: التزام التقوى، وتعظيم شعائر الله تعالى وحرماته:

من أعظم أسباب حياة القلب وصحته، وعلاج أمراضه الأعمال الصالحة التي هي في الشرع رأس العبادة وأساسها: مثل الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والجهاد في سبيل الله تعالى، وغيرها، والسبب في ذلك أن الله تعالى خلق الخلق من أجل هذه الغاية السامية، وأمرهم بالإخلاص فيها ورتب عليها أبواب الخير كلها.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ﴾ [البينة: ٥].



فالعمل الصالح له أثر في صحة القلب ونفعه، "قال أحد العلماء: صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية"(xlv).

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٠-٣٢].

والتقوى من أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها قلب المؤمن الصادق في إيمانه مع ربه، وهي رأس الأمر؛ لأنها تعني في عمومها فعل ما أمر الشرع به والانتهاء عما نهى عنه. وفي الآية الأولى بيان لهذا الأمر، حيث إن التقوى تقتضي تعظيم حرمات الشرع، والابتعاد عن الشرك بالله، وعن المفسقات الأخرى كقول الزور وغيره. وقد جاء الحث على الاتصاف بهذه الصفة في سياق الحض على كثير من الأوامر المهمة والفرائض الأساسية في الدين، والتحذير من ارتكاب المعاصي والتهاون بحرمات الدين، كما في قوله: **(فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأوْثانِ)**، أي:فاتقوا عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان في عبادتها فإنها رجس.وقوله: **(وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)**، أي: واتقوا قول الكذب والفرية على الله، وفي هذا السياق فقد عُدِلت شهادة الزور بالشرك(xlvi). وهذا من مجامع أسس التربية الأخلاقية العملية.

قال الطبري: "وعنى بقوله: **(فإنَّها مِنْ تَقْوَى القُلُوب)**، فإنها من وجل القلوب من خشية الله، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده"(xlvii).

قال القرطبي: "وأضاف التقوى إلى القلوب؛ لأن حقيقة التقوى في القلب، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : (التقوى هاهنا) وأشار إلى صدره"[xlviii].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨].

قال ابن كثير– رحمه اللَّه–: "يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين تحت الشجرة،... وقوله: **(فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ)** أي: من ﷺبايعوا رسول الله الصدق والوفاء، والسمع والطاعة، **(فَأَنزلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ)**: وهي الطمأنينة، **(وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)**: وهو ما أجرى الله على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر"[xlix].

العلاج الخامس الذكر:

مادة الذكر في اللغة تدور حول معنيين: أحدهما: الذكورة التي هي ضد الأنوثة. والثاني: الذكر الذي هو ضد النسيان. وأصل الذِكْر: من قولهم: ذكرت الشيء خلاف نسيته، ومنه ذكر يذكر ذكرا، وجمعه أذكار. والذكر والذكرى خلاف النسيان[l].

والذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان"[li]. و"الذكر هو عبودية القلب واللسان"[lii].

ويطلق الذكر على معان عديدة كلها تتعلق بعبادة الله عز وجل، منها الصلاة لله تعالى، ودعاؤه والتضرع إليه، ويطلق أيضا على الطاعة والشكر، ويطلق على تلاوة القرآن، قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ويطلق الذكر أيضا على تحميد الله تعالى، وتهليله، وتسبيحه، والثناء عليه عز وجل بجميع المحامد[liii]. وهذه الأمور كلها من الأهمية بمكان فيما يتعلق بتربية القلوب وتزكيتها، ولذلك اهتم بها القرآن الكريم اهتماما بالغا، وجاءت بصيغ شتى مرتبطة بعضها ببعض.

قال ابن القيم: جاء الذكر في القرآن الكريم على نحو عشرة أوجه[liv]:

منها: ما جاء بصيغة الأمر به مطلقا ومقيدا، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

ومنها: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان، ومن ذلك قوله تعالى في الآية السابقة: **(وَلاَ تَكُنْ مِّنَ الْغَافِلِينَ)**، وقوله تعالى: ﴿ ڤ ج ج ڇ ڇ ج ج ج ڇ ڇ ج ﴾ [الحشر: ١٩].ومنها: تعليق الفلاح باستدامة الذكر وكثرته، ومنه قوله قال تعالى:﴿ ج ج ڇ ڇ ج ج ﴾ [الجمعة: ١٠].



ومنها: ما جاء الثناء على أهله، والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ومنها: الإخبار عن خسران من لها عن ذكر الله بغيره من الأمور التي تشغل القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ۂ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے﴾ [المنافقون: ٩].

ومنها: الإخبار بأن الذكر أكبر من كل شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومنها: أنه تعالى جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

ومنها: الإخبار عن أهله بأنهم أهل الانتفاع بآيات الله تعالى، وأنهم أولو الألباب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

ومنها: أنه جعل الذكر قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فقد قرنه بالصلاة، قال تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طـه : ١٤]، وقرنه بالصيام والحج ومناسكه في أماكن أخرى،... وقرنه بالجهاد في سبيله وإعلاء كلمته، فأمر بذكره عند ملاقاة الأعداء،

ومصافحة السيوف، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فالآيات القرآنية التي تحض على الذكر كثيرة نكتفي منها بما ذكرنا، وكذلك وردت السنة النبوية المطهرة بالحض على الذكر والإكثار منه، تبرز فضل الذكر ، أن رجلا قال: "يا رسول الله، إن شرائع ﷺوأهله، منها (حديث عبد الله بن بسر الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: لا يزال لسانك رطبا بذكر الله")[lv]، فالذكر كما ورد في هذا الهدي النبوي وكثرته دواء للهموم الدنيوية، وتذكير للقلب بأمور الآخرة، وربط للعبد بربه حتى لا تؤثر عليه هذه الهموم، ولا تنتابه الأمراض المخرجة للقلب عن حد الاعتدال.

: ألا أنبئكم بخير أعمالكم ﷺ، قال: "قال رسول اللهﷺ(وعن أبي الدرداء وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله. وقال معاذ بن جبل: ما شيء أنجى من عذاب الله : (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ ﷺمن ذكر الله")[lvi]. واسمعوا قوله : سبق ﷺ، قال: قال رسول اللهﷺمَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)[lvii]. وعن أبي هريرة المفردون. قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) [lviii].

فهذا هو الذكر الذي هو منزلة الصالحين الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائما يترددون، وهو قوت قلوب العارفين، يقتاتون به عندما تحل بهم المجاعات، ويشربون منه عند الظمأ، وهو ماؤهم الذي يطفئون

به التهاب المصائب والبلى، وهو دواء أسقامهم، يستمدون منه علاج أمراضهم القلبية والجسدية، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عباده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال ابن القيم: في الذكر أكثر من مائة فائدة وربما أدركنا شيئا من ذلك فيما تقدم، وسنذكر هنا بعض هذه الفوائد منها: أنه يطرد الشيطان، ويقمعه، ومنها: أنه يرضي الرحمن عز وجل، ومنها: أنه يزيل الهم والغم والغفلة عن القلب، ومنها: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط، ومنها: أنه يقوي القلب والبدن من الأمراض النفسية والجسمية، ومنها: أنه ينور الوجه والقلب، ومنها: أنه يجلب الرزق، ومنها: أنه تكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ومنها: أن الذكر سبب كل خير وبه دفع كل شر(lix).

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾. [الرعد: ٢٨-٢٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾. [الأنفال:٢- ٤].



العلاج السادس: المسارعة في الخيرات:

من أسباب حياة القلب: الصدقة وتزكية القلب بالمسارعة إلى أعمال البر من أوامر الشرع ومستحباته ومندوباته؛ لأن زكاة القلب موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة، وكما أن القلب يزكو بالإيمان والتصديق بالله الواحد، كذلك يزكو بالأعمال الصالحة، ويتم له ذلك على أحسن وجه عندما يكون العبد مسارعا إلى أعمال البر والطاعات، المفروض منها والمندوب إليه، كذلك عليه الانتهاء عما نهى الشرع عنه، المحرم منها والمكروه، عليه أن يأتي بالمأمورات في أحسن أحوالها.

وهذه هي درجة البر في العمل، أو هو الإحسان الوارد في حديث عُمَر بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في معنى الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...)[lx].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل



عمران:١٣٤-١٣٦]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ ﴾. [المؤمنون: ٥٧-٦١].

العلاج السابع: اجتناب المعاصي:

من أسباب حياة القلب، وعلاج أمراضه، ترك الفواحش والمعاصي؛ لأن حياة القلب بدوام ذكر اللَّه، وترك الذنوب والمعاصي، ولأن الذنوب أمراض القلوب وأدواؤها، ولا دواء إلاَّ بتركها. قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١ ﴾ [الروم: ٤١]. وقال تعالى: (وَمَآ أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ) [الشورى: ٣٠].

قال ابن القيم: "وحياة القلب بدوام الذكر، وترك الذنوب، كما قال عبد اللَّه ابن المبارك رحمه اللَّه رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يُورث الذّل إدمانها، وترك الذُّنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانُها".

إلى أن قال: "وكما أن اللَّه سبحانه جعل حياة البدن بالطعام والشراب، فحياة القلب: بدوام الذكر، والإنابة إلى اللَّه، وترك الذنوب، والغفلة الجاثمة على القلب، والتعلق بالرذائل والشهوات المنقطعة عن قريب يضعف هذه الحياة، ولا يزال الضعف يتوالى عليه حتى يموت"[lxi].



العلاج الثامن: التوبة إلى الله تعالى من الذنوب والمعاصي:

التوبة من أفعال القلوب العظيمة التي يظهر أثرها على فعل المؤمن، وهي من أنجع أدوية أمراض القلوب، لأنها تعني في مفهومها العام الرجوع والإقلاع عن الذنب؛ ولأن الله تعالى يسعف العبد بالعون والتوفيق إلى التوبة التي تحركت نفسه إلى تحقيقها، وتشوقت إليها، وضاقت بما هي عليه من ذنب، وقد بين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾ [التوبة: ١١٨].

والله تعالى يحب العبد التائب، ويبدل سيئاته حسنات، قال تعالى: (إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَـئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً) [الفرقان: ٧٠].

والتوبة على ثلاثة أقسام أولها: التوبة، وأوسطها: الإنابة، وآخرها: الأوبة. قال أبو القاسم القشيري: التوبة صفة المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾ [النور: ٣١]، والإنابة صفة الأولياء والمقربين، قال تعالى: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٍ مُّنِيبٍ ٣٣ ﴾ [ق: ٣٣]، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ ﴾ [ص: ٣٠].

العلاج التاسع: عدم موالاة الكفار والمنافقين ومودتهم:



في القرآن الكريم تقسيم واضح لأصناف الناس، هذا التصنيف يقوم أولاً: على أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، وما سواهم من الكفار والمنافقين وأولياء الشيطان عموما بعضهم أولياء بعض. ويقوم ثانيا: على أن لهذه الموالاة حقوقا وعلامات تظهر على كل فريق، وقد حدد القرآن معالم هذه الصفات وملامح هذه الموالاة، وهناك بيان واضح في القرآن الكريم عن ذلك في آيات كثيرة جدا، نقتصر منها على التالي:

قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ ﴾. [المائدة: ٥١-٥٢]

وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾. [التوبة: ٧١]

ثم قال تعالى عن الكفار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ ﴾. [التوبة: ٧٣]

بناء على هذا البيان فإن من أراد أن يكون قلبه سليما من أمراض قلوب الكفار والمنافقين، مُعَاناً على فعل الخيرات، وترك المنكرات فعليه أن يبتعد عن هذه الفئة الضالة حتى لا تضله معها، وعليه أن ينأى بنفسه ودينه عنهم.



قال تعالى: ﴿ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

في هذه الآية الكريمة خبر من الله تعالى بأن الإيمان الحق يقتضي عدم موالاة وموادَّة الكفار الذين يحآدُّون الله ورسوله ﷺ، ويترتب على ذلك أن الله تعالى وعد من يتبع أمره في هذا الخبر أنه يثبت الإيمان في قلبه، ويزينه فيه، ويكتب له الفلاح والنجاح، ويؤيده ويوفقه بقدرته تعالى، ويرضى عنه ويختم له بخاتمة السعادة الأبدية[lxii].

والخلاصة أن عدم موالاة أولياء الشيطان تكون عونا للمؤمن على قلبه؛ لأنها تصرفه وتمنعه عن كثير من أخلاق هذه الفئة، وتنجيه من أمراضهم.

الخـاتمـة:

يظهر لنا من خلال ما قدمناه في الصفحات الماضية أن القرآن الكريم اهتم بالقلب اهتماما بالغا، ولذلك يجب علينا الاهتمام بهذا العضو الخطير الذي هو ملك الأعضاء كلها، وتكمن أهمية القلب في أنه المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، فهو محل الإيمان وموضع الإخلاص، ومنبع النية والقصد، ولذلك أمر الله تعالى بتزكيته وتطهيره من وسوسة الشيطان وغواية النفس.

كما تبين لنا أن هناك علاقة وطيدة بين: القلب، والفؤاد، والعقل، والنفس، وبينها ترابط قوي، أما أنواع القلوب وأقسامها في القرآن الكريم والسنة المطهرة فهي أربعة: واحد منها ورد في وصف قلوب عباد الله الصالحين، وهو القلب السليم، السالم مما سوى الله تعالى، وهو قلب مؤمن، مطمئن، خاشع، مخبت، وَجِلٌ منيب، أواب إلى الله تعالى.

والثلاثة الباقية وردت في وصف قلوب المنافقين والكافرين أصحاب القلوب المريضة، والقلوب المختوم عليها، والقلوب القاسية الميتة.

ولم يرد في سياق القرآن الكريم وصف قلب المؤمن بأنه مريض، أو مختوم عليه، أو أنه ميت، مما يدل على أن المؤمن الحق لا ينبغي له أن يتصف بواحد من هذه الأوصاف، ولكنه إذا مسه طائف من الشيطان فوقع في ذنب فعليه أن يبادر إلى التوبة والرجوع إلى الله تعالى، وعليه ألا يتمادى في ذنبه حتى لايختم عليه.



وأما منهج القرآن الكريم في بيان أمراض القلوب وأسبابها، فإنه منهج شامل متكامل، يذكر فيه القلب باسمه كثيرا، وأحيانا بصنوه وقرينه الذي هو (الفؤاد)، وتارة بمحله الذي هو (الصدر)، وطورا بروحه وحقيقته التي هي (النفس)، أو يشار إليه بالجزء المدرك منه الذي هو (العقل)، وكثيرا ما يشار إلى القلب بعمل من أعماله الملازمة له: كالإيمان، أو التصديق، أو التذكر، أو الشعور، أو الجحود، أو النكران، أو النسيان، أو الغفلة، أو غير ذلك من الأمور التي لا تتصور من الإنسان إلا بحضور القلب أو غيابه.

وقد أحصينا من طرق علاج أمراض القلوب نحو تسع وهي: الإيمان)، والصبر والتزام التقوى، ﷺبالله تعالى، والاعتصام بكتابه وسنة نبيه(والذكر،والتوبة إلى الله تعالى، وعدم موالاة الكفار والمنافقين. وبهذا يظهر لنا منهج القرآن الكريم في تربية القلوب، وعلاج أمراضها، وبيان ما في القرآن الكريم من قيم إيمانية وتربوية وأخلاقية، متعلقة بهذا العضو الذي يتحكم في سلوك الإنسان كله هذا وصل اللهم وسلم على النبي الكريم.

الهوامش المرجعية:

(i) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه. ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(ii) ذكر الله تعالى القلوب في ثلاث وأربعين سورة من سور القرآن الكريم، في أربع وعشرين ومائة آية منها، في اثنين وثلاثين ومئة موضعا. [انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (قلب)].

(iii) جامع العلوم والحكم (٢١٠/١) .

(iv) انظر: مجلة جامعة أم القرى العدد ٢٣، مرض القلوب وشفاؤها (٣٢٠/١٠) وما بعدها.

(v) انظر: المصباح المنير (ج ٧ / ص ٢٦٣)، والقاموس المحيط (ج ١ / ص ٣٠٥) مادة (فود) ، ومادة (قلب). نزهة الأعين النواظر ص٤٨٢.

(vi) لسان العرب (ج ١ / ص ٦٨٥) ، مادة (قلب).

(vii) لسان العرب (ج ١ / ص ٦٨٥) ، مادة (قلب).

(viii) مفردات غريب القرآن، مادة (قلب). وانظر: بصائر ذوي التمييز ٢٨٨/٤-٢٨٩.

(ix) نزهة الأعين النواظر ص٤٨٢.

(x) لسان العرب (ج ١ / ص ٦٨٥) ، مادة (قلب).

(xi) مفردات غريب القرآن، مادة (قلب). وانظر: بصائر ذوي التمييز ٢٩١/٤.

(xii) رواه مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، وأحمد، مسند المكثرين، مسند عبد الله بن عمرو، (٦٢٨١) ، وابن ماجة، في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، (ح ١٥٠).

(xiii) التعريفات (١ / ٥٧). إحياء علوم الدين (٦/٣).

(xiv) إغاثة اللهفان- طبعة دار الكتب، بيروت، (٩٠/١).

(xv) رواه أحمد، مسند الشاميين، باب حديث شداد، (١٦٥٠١) ، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الموت، (ح ٤٢٥٠). والترمذي، كتاب صفة القيامة، (ح ٢٣٨٣).

(xvi) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٢٧٠-٢٧١). وانظر: بصائر ذوي التمييز ٤/٢٨٩. ونزهة الأعين النواظر ص٤٨٣.

(xvii) إغاثة اللهفان- طبعة دار الكتب، بيروت، ١/١٤.

(xviii) انظر: إغاثة اللهفان- طبعة دار الكتب، بيروت، ١/١٤-١٥. وانظر في هذا الموضوع: مجلة جامعة أم القرى العدد٢٣، مرض القلوب وشفاؤها (١٠/٣٣٨- ٣٣٩).

(xix) الروح (ص٥٣٩) .

(xx) جامع العلوم والحكم (١/٢١١) .

(xxi) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٣٣٧).

(xxii) الروح لابن القيم (ص٥٤٤).

(xxiii) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص١٨٣). وانظر في هذا الموضوع: مجلة جامعة أم القرى العدد ٢٣، مرض القلوب وشفاؤها (١٠/ ٣٣١-٣٣٤).

(xxiv) التحرير والتنوير - (ج ١٢ / ص ١٣٠). والحديث سبق تخريجه في الحاشية رقم (١).

(xxv) رواه أحمد، (٣/١٧ حلبي)، باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري. **قال أحمد شاكر: وهذا إسناد صحيح**. **قال:** وحديث أبي سعيد هذا: ذكره السيوطي ١: ٨٧، ونسبه لأحمد"بسند جيد". وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٦٣، (تفسير الطبري ٢/ ص٣٢٥). وذكره ابن كثير في تفسيره (١/٥٩) وقال: وهذا إسناد جيد حسن.

(xxvi) رواه ابن ماجة كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، (ح٤٢٣٤)، وأحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة. قال أحمد شاكر في تخريجه لتفسير الطبري: والحديث رواه أحمد في المسند ٧٩٣٩ (٢ : ٢٩٧ حلبي). ورواه الحاكم (٢ : ٥١٧). وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. ورواه الترمذي (٤: ٢١٠)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". تفسير الطبري - (ج ١ / ص ٢٦٠).

(xxvii) تفسير الطبري - (ج ١ / ص ٢٦١).

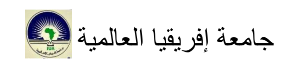
(xxviii) تفسير ابن كثير - (ج ٨ / ص ١٠٩).

(xxix) انظر : مجموع الفتاوى - (١٠/٩٣-٩٥).



(xxx) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، برقم(٢٤٢٣)، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب التوبة.
(xxxi) تفسير الطبري - (ج ٩ / ص ٣٦٣).
(xxxii) انظر : مختار الصحاح ص٥٣٥ ، ولسان العرب (١٦٨/١١)، مادة (قسا) .
(xxxiii) مجموع الفتاوى (٢٧١/١٣) .
(xxxiv) تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ٢٣٤).
(xxxv) انظر: تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ٤٤٥-٤٤٦).
(xxxvi) أخرجه أحمد في مسند بني هاشم، أول مسند ابن عباس، الترمذي، كتاب فضائل القرآن، برقم:(٢٨٣٧)
(xxxvii) تفسير ابن كثير - (ج ٨ / ص ١٣٧-١٣٨).
(xxxviii) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجامع، ص٦٤٨ ، برقم (١٦١٩) .
(xxxix) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة. والترمذي في كتاب العلم، برقم (٢٦٦٣) . وابن ماجه في المقدمة، برقم (١٢) . وأحمد في المسند (١٣٠/٤).
(xl) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص١٦١ . وانظر : مجموع الفتاوى (٦٢٣/١١).
(xli) انظر : الجواب الكافي ص٢١-٢٣ .
(xlii) مجموع الفتاوى (١٢٥/١٠) .
(xliii) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ص١٦، ١٧. وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٠/١).
(xliv) تفسير القرآن العظيم، ١٧٤٨/٥.
(xlv) حلية الأولياء (١٩٩/٢).
(xlvi) انظر: تفسير الطبري - (ج ١٨ / ص ٦١٨-٦١٩).
(xlvii) تفسير الطبري (٦٢٢/١٨-٦٢٣).
(xlviii) تفسير القرطبي (٥٦/١٢).
(xlix) تفسير ابن كثير - (ج ٧ / ص ٣٣٩-٣٤٠).
(l) انظر: المعجم الوسيط ٣٣٦، والمفردات للراغب ١٨٥.





[li] المفردات ١٨٤.
[lii] منهاج المؤمن ٢٦٢.
[liii] انظر: المفردات ١٨٤.
[liv] انظر: منهاج المؤمن ٢٦٣.
[lv] رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل الذكر.
[lvi] رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب خير الأعمال.
[lvii] أخرجه البخاري في: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله.
[lviii] رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله.
[lix] انظر: موسوعة نضرة النعيم ٥/٢٠١٠.
[lx] رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيﷺ، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان.
[lxi] انظر: مدارج السالكين (٢٩٢/٣).
[lxii] انظر: تفسير ابن كثير – (ج ٨ / ص ٥٤)، وانظر: زاد المسير – (ج ٦ / ص ٣).

